الأيام

الكتبُ الأكثر صدقًا في تاريخ الإنسان هي السير الذاتية التي يرويها أصحابها ويتكلمون فيها عن وقائع حياتهم التي عاشوها وبكلمات تعبر عما عاناه الكاتب طوال حياته.

الكاتب طه حسين، هو عميد الأدب العربي، بما يعني أنه لعب دورًا بارزًا في حياتنا الثقافية، هذا الطفل المولود مثل كل الأطفال في قرية مصرية، لأسرة صعيدية، كان في البداية طفلًا عاديًا مثله مثل بقية الأطفال في القرية، يبصر بشكل طبيعي للغاية، ويعيش وسط أسرته لأب يعمل في مصنع السكر، وإخوته كثيري العدد، وكان الأب رجلًا مهاب الشخصية، يحرص على تربية أولاده أفضل تربية.

كان طه الطفل يحب ضوء النهار، وساعات غروب الشمس، حيث يبدو الأفق والشمس تغوص فيه منظرًا لا ينسى، وكم كان يحب التجوال في ذلك العالم، المليء بالمزروعات، يشاهد الأشجار كثيفة الخضرة، ويمازح الحيوانات الأليفة.

وبعد أن تغرب الشمس، كان يرى ويسمع الناس وهم يتبادلون الضحكات، أثناء تناول العشاء.

إنه الطفل رقم سبعة بين إخوته، البالغ عددهم ثلاثة عشر، ورغم كل هذا العدد الكبير من الأبناء، فإن الطفل طه كان يشعر أن له مكانة خاصة في قلب أبيه، وأيضًا حب الجميع، ربما لأن الله منحه قدرًا ملحوظًا

من الذكاء.

وفي بعض الأحيان كانت الأمور تختلف، ويبدو الآخرون كأنهم انشغلوا عنه وأهملوه، وهو الصغير في بيئة تحتاج الكثير من الرعاية والحرص.

وسط هذا العالم أصابه الألم في عينيه، ولم يسرع أحد به إلى الطبيب، وأوصي البعض بالاستعانة بحلاق القرية، فهو الشخص الأكثر خبرة، وقد سبق له أن قام بدور الطبيب في مناسبات عديدة، وكان الرجل يوصي بوضع سائل في عيني الطفل يبدو كأنه يحرقه ولا يشفيه، إلا أن الأمر كان في حاجة إلى طبيب، وبدأ نور الدنيا ينطفئ أمام عيني الطفل طه.

وفقد الصغير قدرته على الإبصار تمامًا بسبب الإهمال، ووجد نفسه محبوسًا، ولم يجد من يأخذه إلى الأماكن التي كان يحبها، ودون أن يقرر، بدأ يميل إلى العزلة.

ورغم ذلك فإن قدرته على الحفظ والاستيعاب جعلت شيخ الكتاب يعجب به، واستطاع طه حسين أن يحفظ القرآن الكريم في سن صغيرة جدًا، وكانت المرحلة التالية أن يلتحق بالأزهر الشريف في القاهرة ليدرس علوم الدين.

هكذا عاش طه حسين طفولته قبل أن يصل برفقة أخيه إلى الجامع الأزهر للدراسة، وهكذا كتب عن رحلة حياته ومعاناته إلى أن صار طالبًا في الأزهر الشريف، يستوعب بذكاء كل علوم الدين، سجل طه حسين الرحلة في روايته باسم «الأيام»، وكان صادقًا للغاية وهو يتكلم عن نفسه.

في القاهرة تتلمذ على أيدي العلماء الأجلاء، ولم يعد إلى القرية في عام ١٩٠١، عندما أطاح مرض الكوليرا اللعين بالكثير من أبناء القرية، واستقر به الأمر في القاهرة، وصار من أشهر رجا ل الفكر.

إنها رحلة طويلة حكاها الدكتور طه حسين في ثلاثة أجزاء، ونكتفي هنا بالحديث عن رحلة الطفولة والصبا.

طه حسين

الدكتور طه حسين من مواليد مغاغة محافظة المنيا عام ١٨٨٩، وهي السنة التي ولد فيها عباقرة كثيرون في مصر والعالم منهم: عباس العقاد، وتشارلي تشابلن، وكان واحدًا من تلاميذ الشيخ محمد عبده، المفكر وشيخ الأزهر سابقًا، عقب تخرجه في جامعة الأزهر حصل على منحة دراسية للحصول على الماجستير والدكتوراه من جامعة السوربون بباريس عاصمة فرنسا، وكانت دراسته عن الشاعر العربي الضرير أبي العلاء المعري، وعقب عودته ومعه زوجته الفرنسية سوزان عمل في جامعة القاهرة التي صار عميدًا لكلية الآداب بها، ثم أصبح وزيرًا للمعارف؛ أي التعليم، وكتب العديد من الروايات منها «الأيام» عام ١٩٢٩، وله روايات أخرى منها: «دعاء الكروان» و«الحب الضائع»، وله دراسات في التاريخ الإسلامي، منها: «على هامش السيرة» و«الوعد الحق» و«مرآة الإسلام»، كما صدرت له كتب في اللغة العربية التي دافع عن حضارتها بقوة، واتجه إلى النقد الأدبي، وانتبهت السينما المصرية إلى روعة قصصه فحولتها إلى أفلام، وفي التلفزيون تم تقديم روايته «الأيام» في مسلسل بالاسم نفسه كان من بطولة أحمد زكي في بداية حياته الفنية، ويعتبر طه حسين هو الأديب الأوحد الذي تم تحويل سيرته إلى فيلم باسم «قاهر الظلام» عن كتاب للصحفي كمال الملاخ ١٩٧٨، جسد شخصيته الفنان محمود يس، أما أجمل كتاب يمكن أن تقرأه عن حياة طه حسين فقد كتبته أرملته سوزان عقب رحيله في أكتوبر عام ١٩٧٣ بالفرنسية بعنوان «معك» وهو مترجم إلى اللغةِ العربيةِ.